مواقف حسن الخاتمة

مواقــف عربيــة

مواقف حسن الخاتمة

إن نصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن استغلاله فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن أساء استغلاله في المعاصي والسيئات حتى لقي الله على تلك الخاتمة السيئة فهو من الخاسرين، وكم حسرة تحت التراب، والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله وخاف من ذنوبه قبل أن تكون سبباً في هلاكه، قال ابن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه[1].

وكم شخص أصر على صغيرة فألفها وهانت عليه ولم يفكر يوماً في عظمة من عصاه فكانت سبباً في سوء خاتمته، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[2].

وقد نبه الله في كتابه جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة، فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: {وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾} [الحجر: ٩٩].

فالأمر بالتقوى والعبادة مستمر حتى الموت لتحصل الخاتمة الحسنة وقد بين ﷺ أن بعض الناس يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة من عمره ولكن قبيل وفاته يقترف السيئات والمعاصي مما يكون سبباً في أن يختم له بخاتمة السوء، قال ﷺ: "**وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**"[3].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**

(1) البخاري 88/11، 89 ومسلم أيضاً ".
(2) البخاري 283/11 ".
(3) البخاري 417/11 ومسلم برقم: 2643 ".

وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**-[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَاتَ فَدَخَلَهَا**-[3].

وورد في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين في إحدى المعارك مع رسول الله ﷺ أبلى بلاءً شديداً فأعجب الصحابة ذلك وقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ :"**أما إنه من أهل النار**-فقال بعض الصحابة: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه سأنظر ماذا يفعل فتبعه، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فرجع الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله، قال :"**وما ذاك؟**-قال : الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ عند ذلك:"**إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من**

---

(1) ابن حبان " 347 "، تعليق الألباني صحيح.

(2) مسلم " 2651 " باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، واللفظ له، أحمد " 10291 "، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح على شرط مسلم ".

(3) أحمد " 24806 "، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح ".

أهل الجنة-وفي بعض الروايات زيادة:"**وإنما الأعمال بالخواتيم**-[1].

وقد وصف الله - سبحانه - عباده المؤمنين بأنهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع الإحسان في العمل فقال :{إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾} [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]. وقد كانت هذه حالة الصحابة رضي الله عنه.

وقد روى أحمد عن أبي بكر الصديق أنه قال: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وكان رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وكان علي بن أبي طالب يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وكان يقول: ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة قد أسرعت مقبلة ولكل واحدة منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وقد كان موت الفجأة مذموماً في الإسلام لأنه يباغت صاحبه ولا يمهله فربما كان على معصية فيختم له بالخاتمة السيئة.

وقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفاً شديداً، قال سهل التستري: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله - تعالى - إذ قال :{وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠]. وينبغي أن يكون الخوف من سوء الخاتمة ماثلاً أمام عين العبد في كل لحظة، لأن الخوف باعث على العمل وقد قال ﷺ :"**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**-[2].

(1) رواه البخاري ومسلم.
(2) الترمذي برقم 2452 ".

لكن إذا قاربت وفاة الشخص وأشرف على الموت فينبغي له حينئذ أن يغلب جانب الرجاء وأن يشتاق إلى لقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. قال ﷺ :"**يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** عز وجل-[1].

بشائر تدل على حسن الخاتمة:

نبه النبي ﷺ على بشائر تدل الخاتمة إذا كانت وفاة العبد مع واحدة منها كان ذلك فألا طيباً وبشارة حسنة منها:

نطقه بكلمة التوحيد عند الموت فقد روى الحاكم عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ :"**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**-[2].

- أن يموت شهيداً من أجل إعلاء كلمة الله قال - تعالى -: { وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ } [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

- أن يموت غازيا في سبيل الله، أو محرماً بحج، قال ﷺ :"**من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد**-[3].

وقال ﷺ في المحرم الذي وقّعته ناقته:"**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً**-[4].

- أن يكون آخر عمله طاعة الله فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"**من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة**-[5].

(1) أبو داود 3116 والحاكم 351/1 وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ".
(2) مسلم برقم 2877 ".
(3) رواه مسلم وأحمد.
(4) مسلم برقم 1206 ".
(5) رواه أحمد 391/5 ".

- الموت في سبيل الدفاع عن الخمس التي حفظتها الشريعة وهي : الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل. عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ :"**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد**-[1].

- أن يموت صابراً محتسباً بسبب أحد الأمراض الوبائية وقد نبه النبي ﷺ إلى بعضها مثل الطاعون: روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :"**الطاعون شهادة لكل مسلم**-[2].

و السل: روى راشد بن حبيش قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**قتل المسلم شهادة والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة والسل شهادة**-[3]، **وداء البطن**ـــ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ :"**ومن مات في البطن فهو شهيد**-[4].

الوسائل التي جعلها الله سبباً في حسن الخاتمة:

- تقوى الله في السر والعلن والتمسك بما جاء به النبي ﷺ فهو سبيل النجاة، قال - تعالى -: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢} [آل عمران: ١٠٢]. وأن يحذر العبد من الذنوب أشد الحذر فإن الكبائر موبقات وإن الصغائر مع الإصرار تتحول إلى كبائر وكثرة الصغائر مع عدم التوبة والاستغفار ران على القلب. قال ﷺ :"**إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**-[5].

(1) رواه أبو داود برقم 4772 والترمذي برقم 1418و 1421 ".
(2) رواه أبو داود برقم 4772 والترمذي برقم 1418و 1421 ".
(3) رواه أحمد 289/3 ".
(4) رواه مسلم برقم 1915 ".
(5) رواه أحمد 331/5 ".

- المداومة على ذكر الله فمن داوم على ذكر الله وختم به جميع أعماله، وكان آخر ما يقول من الدنيا لا إله إلا الله نال بشارة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** -[1].

وروى سعيد بن منصور عن الحسن قال: سئل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال:"**أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله**-[2].

ورحم الله الحسن البصري حين قال: " المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن "؛ كيف يأمن المؤمن وما من قلب إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء ثبته وإن شاء قلبه كما صح في الخبر؛ ولهذا كان ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يكثر من قول:"**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؛ اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**ـــ.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " فالخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقد قيل إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

ويحكي أن بعض الصحابة خاف عند موته، فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين** ـــ، فقال: "**هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أي القبضتين كنت**ـــ.

ولكن كيف نأمن سوء الخاتمة وقد ختم بها لبعض من بايع الرسول ﷺ وجاهد في سبيل الله وأبلى في الجهاد؟

فذو الخويصرة التميمي وهو الحرقوص السعدي، قال عنه ابن الأثير في

---

(1) أبو داود 3116 والحاكم 351/1 وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ".
(2) المغني لابن قدامة 450/2 ".

" أُسْد الغابة في تمييز الصحابة ": (من الصحابة، ذكره الطبراني وقال: إن الهرمزان الفارسي، كفر ومنع ما قِبَله، واستعان بالأكراد، وكثر جمعه، فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمر المسلمين بحرقوص بن زهير وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ وأمره بالقتال، فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان، وفتح الحرقوص سوق الأهواز ونزل بها، وله أثر كبير في قتال الهرمزان؛ وبقي حرقوص إلى أيام علي رضي الله عنه ، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل حرقوص يومئذ سنة سبع وثلاثين.

هذا الرجل خلط عملا صالحا وآخر سيئاً، ولذلك ختم له بسوء، لما سبق له في الكتاب الأول، فهو الذي:

... بال في مسجد رسول الله ﷺ .

... وهو الرادّ على الرسول ﷺ قوله وهو يقسم: اعدل؛ فقال رسول الله ﷺ :"**ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ـــ**.

... وهو الذي خاصم الزبير في شراج الحرة، وقال: إن كان ابن عمتك؛ فأمر النبي ﷺ الزبير باستيفاء حقه.

... وهو الذي خرج على عليّ فيمن خرج، وفجر، وقاتله قتالا شديداً.

... وهو من القوم الذين قال فيهم الرسول ﷺ :"**ينكر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميةـــ**، وفي رواية:"**ثم لا يعودونـــ**.

... وهو الذي قتله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستبشر عندما وجده بين القتلى مع أهل النهروان.

هذه الفعال هي التي أوردت هذا الرجل موارد الهلاك، وجعلت ربنا سبحانه وتعالى يحكم عليه بما ختم له به، وما ربك بظلام للعبيد.

من قصص السلف في حسن الخاتمة:

فمجاهد بن جبر رضي الله عنه مات وهو ساجد.

ولما احتضر حذيفة رضي الله عنه قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار، لا أفلح من ندم، مرحباً بالموت حبيب جاء على فاقة

وكذلك بلال رضي الله عنه، لما احتضر كان يقول: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه؛ فلما بكت زوجته وقالت: وابلالاه! واحزناه! قال لها: وفرحاه! وسروراه.

وخيثمة بن عبد الرحمن، دخلت عليه امرأته وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيكِ؟! الموت لابد منه.

فقالت: الرجال بعدك عليَّ حرام، فقال: ما كل هذا أريد منك - ما كنت أريد منك كل هذا الشيء - إنما كنت أخاف رجلاً واحداً، وهو أخي فلان - حيث كان له أخ، يقول: أخشى أن يتزوجك بعدي، وكان رجلاً فاسداً يتناول الخمر - فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب، بعد إذ كان يتلى فيه القرآن فهو يقول: بعد أن كنت أختم القرآن في كل ثلاثة أيام مرة، يشرب أخي الخمر في بيتي: هذا الذي كنت أخشاه.

ومالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد من قبلي من الأنبياء والصالحين؛ لأوصيت أهلي إذا مت أن يقيدوني ويجمعوا يديّ إلى عنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال، فإني عبد آبق من مولاه يقول: لا أريد أن ابتدع في الدين وإلا أنا أتمنى أن تربط يدي إلى عنقي ويفعلون بي فعلهم بالأسير العبد الذي هرب من مواليه فأمسكوا به؛ لعل الله عز وجل أن يراني على تلك الحالة فيرحمني.

وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: اخرجوا فلا يبقى عندي أحد، فخرج من كان عنده وجلسوا عند الباب يستمعون، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جن، ثم قال:{ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [القصص: ٨٣]، ثم مات رحمه الله.

و آدم بن أبي إياس ختم القرآن وهو مسجى على سريره ثم قال: " يا رب، بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، ثم قال: لا إله إلا الله ثم لفظ روحه ".

والإمام أحمد قال لولده عبد الله: " جئني بالحديث عن طاوس، أنه كان يكره الأنين - هات الحديث - فجاء ابنه وقرأ عليه الحديث عن طاوس: أنه

كان يكره الأنين - يكره أن المريض يئن - فقرأه عليه فلم يئن الإمام أحمد إلا في الليلة التي توفي فيها.

يقول ابنه عبد الله: كان يغمى عليه ثم يفيق، فإذا أغمي عليه فتح عينيه، ثم قال بيديه هكذا: لا بعدُ بعدُ، قال: ففي المرة الثالثة قلت: يا أبه ما هذا، إنني أراك تحرك يدك وتقول: لا بعدُ بعدُ، قد لهجت بهذا الكلام ولا أدري له معنىً، فقال الإمام أحمد: إبليس - لعنه الله - قائم بحذائي عاض على أنامله، يقول: يا أحمد فتني يا أحمد، فتَّني، فتَّ علي فأقول له: لا بعدُ بعدُ حتى أموت " يعني ما دام الروح في الجسد، فلا زال هناك خوف من كيد الشيطان.

ولما احتضر أبو الوقت السجزي رحمه الله، أسنده بعض تلاميذه إلى صدره، فقال: { قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ } [يس: ٢٦ - ٢٧].

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة قال: " يادنيا ما أطيبك، إن طويلك لقصير، وإن كثيركِ لحقير، وإن كنا منك لفي غرور " ثم أنشأ يقول: إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب أو تجاوز فأنت رب صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب.

ومحمد بن واسع رحمه الله، كان عنده قوم جلوس وقوم قيام، فقال: ما يغني عني هؤلاء إذا أخذ بناصيتي وقدمي وألقيت في النار، ثم تلا قول الله عز وجل :{يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ٤١ } [الرحمن: ٤١].

أوتروا لي قوسي:

وقيل إنّ إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كلّ مرّة يجدّد الوضوء، فلما أحسّ بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفّي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم[1].

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 51/10.

لا حتى أموت:

عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبي الوفاة فجلست عنده والخرقة بيدي أشد بها لحييه، قال: فجعل يغرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول: بيده هكذا لا بعد لا بعد لا بعد، ففعل هذا مرة وثانية فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبه إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت؟! فقال: يا بني أما تدري؟! قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتَّني! فأقول: لا حتى أموت.

كيف أصبحت؟:

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما؟

هذه نعم الله:

قال أبو بكر العطار يقول حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فثقلت عليه حركتها فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت يقال له البسامي وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال ما هذا يا أبا القاسم قال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله قال الشيخ كان الجنيد رحمه الله ممن أحكم علم الشريعة فكان عنده اقتباس آثار الزريعة

وقبوله المدرجة البديعة وكان القيام بحقائق الآثار يدفعه عن الرواية والآثار[1].

ارفق بنفسك!:

وقال أبو محمد الجريري: " كنت واقفاً علي رأس الجنيد وقت وفاته - وكان يوم جمعة - وهو يقرأ، فقلت: " ارفق بنفسك! " فقال: " ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، هو ذا تطوي صحيفتي ".

اعذرني! فإني كنت في وردي:

وقال ابن عطاء: " دخلت عليه، وهو في النزع، فسلمت عليه، فلم يرد، ثم رد بعد ساعة، وقال: " اعذرني! فإني كنت في وردي "، ثم حول وجهه إلي القبلة ومات ".

* * *

(1) حلية الأولياء، 10 /281.